

المذهب الطبيعي

ضعف المذهب الرومانسي في فرنسا وفي كثير من دول اوربا وامريكا ، واشتاق الناس ان يحدقهم الادباء عن حياتهم الواقعية ، وبالفعل اخذ القصاصون امثال ستندال 1783-1842م .. وبلزاك 1799-1850م .. ودي فو 1660-1731م .. وهنري فيلدنك 1707-1757م في انكلترا يكتبون القصص الواقعية المشوقة التي ينتزعونها من الحياة الواقعية .

والمذهب الطبيعي هو الشئ المنسوب للطبيعة كما خلقها الله ، الطبيعة التي لم تتأثر بالعوامل الخارجية الطارئة والتي يصنعها المجتمع في الغالب بما يتواءم عليه من تقاليد واداب ، وما يسنه من شرائع وقوانين وما يقيمه من معاهد للعلم او منشآت للفنون وما يبتدعه من اصول الذوق العام والادب الطبيعي هو الذي يحدثنا عن هذه الحياة الطبيعية التي لم تتأثر بهذه العوامل المكتسبة .

ولا شك ان الاخوين دي جونكور : ادمون 1822-1896م ، وجول 1830-1870م هما مبتكرا المذهب الطبيعي في الادب الفرنسي ، وقد كان نشاط هذين الاخوين لا يقف عند حد وكانت لهما ميزات ادبية وفنية متنوعة ، ويحسب لهما انهما ادخلا مبادئ الفن الياباني في فرنسا وقد كتب الاخوين دي جونكور في كل شئ ، الادب الصرف وفي الرسائل والمقالات والقصص ، وبالطبع في المسرحيات ، وكانت شخصياتهما المسرحية دراسات صرفة من الحياة العامة كانا يأخذانها عن متصل بهم من الناس اخذاً طبيعياً ، لا يزيدان فيه ولا ينقصان . وقد كان غرض الكتابة الطبيعية ان يوفروا للاجيال التالية اكبر قدر من المستندات الحية التي يعرفون بها اهل الجيل الحاضر معرفة كأنهم يرونهم بها رأي العين .

ويعد ايميل زولا الذي ولد في باريس عام 1840م من اعلام المذهب الطبيعي كذلك المسرحي جي دي موباسان 1850-1893م .

والمذهب الطبيعي ادى بجميع اربابه الى الدمار الخلقي والصحي ، ولعل ذلك ناشئ من التزام الصدق في تسجيل مجريات الحياة ، بل المبالغة في التزام ذلك دون ان يعمل الادباء حساباً للعواطف المكبوتة .

ويخلص النقاد معالم المذهب الطبيعي في التالي :

" وهذا المذهب الذي تتغلب فيه الحقيقة على كل من العقل والتفكير ، والكاتب الطبيعي يقتصر على تصوير الحقيقة المجردة ، وكشف بواطنها كشفاً لا يحفل بالخيال او الحياء او التقاليد ، وهو لا يسمح لتفكيره مطلقاً بالتدخل في شأن هذا التصوير " .

وللكاتب الطبيعي طريقته في كتابة مسرحياته ، فهو يقلل ما امكن من عناصر موضوعة ويجعل عقده ان كانت له عقدة بسيطة .. كما يقلل من الحركة وهو يقتصد في حيل المذهب الرومانسي وزخارفه ، فهذه الاحاديث الجانبية التي يتم بها بعض الممثلين فيما بينهم حتى يسمع الجمهور حوار غيرهم من الممثلين ، وهو يقتصد كذلك في القطع الطويلة التي يلقيها ممثل واحد ، والخطب المملة او الالمؤثرة او المفتعلة ، وهو يستعمل بدلاً من ذلك كله الحوار الطبيعي الذي يتبادل المتحدثون .

اما من حيث الموضوع فيفضل الكاتب الطبيعي ان يختار موضوع مسرحيته من احداث العصر الذي يعيش فيه والبيئة التي يحيا بها ، بل من اكثر الموضوعات الجدية واقربها الى امزجة جمهوره من النظارة . ثم ان الكاتب الطبيعي يختار هذه الموضوعات من حياة الرعاع ، بل اسفل طبقة من طبقاتها ، وهو يعتمد ذلك اما

لطرافة ما يعرضه على المسرح من وسائل عيشهم ، واما مجاراة لريح الديمقراطية الزائفة التي تستهوي هذه الطبقات بالعطف المسطنع عليها وتكاف الرحمة بها .

على ان الطبيعيين يعنون اشد العناية بأن يكون ابطال مسرحياتهم ابطالاً ضعافاً سلبيين ، يسهل قيادهم والتأثير عليهم كما يعنون بعالم الجريمة والامراض ، بوصفها نتيجة للظروف الاجتماعية والمرضية وظروف البيئة والوراثة ، تلك الظروف التي هي في نظر الطبيعيين بمثابة تقابل القضاء والقدر عند الكلاسيكيين القدماء . ومن ثم كان معظم الكتاب الطبيعيين اقرب الى التشاؤم والنظرة السوداء الى الحياة ومستقبل الانسانية منهم الى التفاؤل والابتسام للمستقبل .